

فاذا ذهب الرئاسة من عصبية قل أن ترجع اليها .
والاجتماع الحضري يتطور من الاجتماع البدوي ، وفيه تستبحر
الحضارة وتنشأ الدولة .

اذا قويت العصبية في البدو وظفرت بالرئاسة ثم زاد جاهها وسلطانها
وماها ، فانها تطمع بما فوق الرئاسة وتطمح الى الملك للاستبداد بالحكم
والتمتع بما لديها من الجاه والسلطان والمال . غير أن ذلك لا يتيسر لها في
البدو ، إذ الرئاسة في البدو تكون بالتراضي ، ولا ترضى العصابات بأن
يستبد بعضها ببعض . ثم ان المال لا يفيد في البادية لفقدان وجوه الترف
فيها . عندئذ يعزم أصحاب الرئاسة على الانتقال الى الحضر .

والانتقال من البداوة الى الحضارة إما أن يكون بهجر البادية الى مكان
قد سبقت اليه الحضارة ، وإما أن ينقلب جانب من تلك البادية حضراً
بجلب عوائد الترف اليه . ويكون ذلك :

أ- بانقلاب الرئاسة بالعصبية مُلكاً فننشأ الدولة :

اذا كان لا مريء سوّدد ، وكان قومه يتبعونه طوعاً فذلك هو الرئاسة
بالعصبية المألوفة في البدو . وأما اذا احتاج صاحب العصبية الى التغلب
على من تحت يده والى قهرهم حتى يحملهم على طاعته فذلك هو الملك .
والملك لا يحصل الا بالغلب ، والغلب لا يكون الا بالعصبية ، ولا يكون
ذلك عادةً إلا مع البداوة ، فطور الدولة من أولها بدواة . وبما أن المُلْك
يدعو الى الترف فان الحضارة تتبع البداوة ضرورةً ، لضرورة تبعية
الرفه للمُلْك (١) .

ب- والملك يدعو الى نزول الامصار (المدن ، أو الى انشائها) طلباً
للدعة والسكون وحباً بالترف . ونزول الامصار يدعو الى الاعتمار من
بناء الدور وانشاء البساتين ؛ واذا حصل الملك (استقر) تبعة الرفه
واتساع الأحوال . والحضارة انما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع

(١) مقدمة ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الثانية ص ٣٠٤ ، ١٩٦١ .